شخصيات من الحرمين الشريفين(٤٦)
أُمُّ هانئ (١)

محمد سليمان.[١]

سيدة قرشية هاشمية، فتحت عينيها في مكة، في بيت يُعدُّ من أرقى بيوت قريش، وفي بيئة علم وشعر وأدب وشجاعة وضيافة، فتشبعت بقيم هذا البيت، وأعراف هذه البيئة وآدابها حتى غدت امرأةً جليلةَ القدر، قويّةً في شخصيتها، حكيمةً في مواقفها، رشيدةً في آرائها.. ثمَّ مسلمة صحابية فاضلة فمهاجرة، لها مواقف خالدة، حظيت بمشهور الأخبار أن يكون بيتها موضع انطلاقة معجزة عظيمة، تحدّث عنها التنزيل العزيز في الآية الأولى من سورة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

لتخلُد بخلودها، وتُذكر كلما قُرئت السورة مع التدبّر والتأمل في الآية المذكورة، فلقد ارتبط اسم هذه السيدة وبيتها بهذه المعجزة؛ معجزة الإسراء، وهو ما عليه مصادر التاريخ والتفسير والحديث من أنَّ رسول الله ﷺ أُسري به من بيتها على أصحّ

---

١. محققٌ وباحث ديني.

الأقـوال، وحظيـت أيضـاً باحـترام وتقدير رسـول اللهﷺ

فمَـن هـي هـذه السـيدة الصالحة التـي اختصّـت بذلـك مـن دون النسـاء الصالحات والصحابيّـات الجليـلات على كثرتهـنَّ ؟!

❊ ❊ ❊

إنّـَها أمُّ هانئ

ولـدت في مكـة المكرمـة قبـل البعثـة النبويّـة الشريفـة، ولعلّـه بأربع وثلاثين سـنة أي ٥٧٦ م لأبويـن هاشـميين؛ فأبوهـا أبـو طالـب بن عبـد المطلب بن هاشـم بن عبـد مناف بـن قـصي،... يقول ابن هشـام:

فرسول اللهﷺ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمّه.

وبـلا أدنـى ريـب أنَّ هـذا النسـب وذاك الحسـب في أشرفيتـه وأفضليتـه يحظـى بهـما أبوطالـب وأولاده أيضـاً، ويكفيه فخراً أنّه رضوان الله عليه عمُّ النبيِّ، عمُّ رسـول اللهﷺ وكفيلـه وحاميـه والمدافـع عنـه وعن رسـالة السـماء التـي أُنيطـت بـهﷺ بشـيراً ونذيراً، تبليغـاً ورحمـةً وكافـةً للناس، فلطالمـا ذبَّ عنه أعـداءه ومناوئيـه؛ لكونه كان سـيدًا شريفًا ذا مكانـة ووجاهـة في قومـه قريش، فهـو من كبار سـاداتهم وأبرز عظمائهم، فـكان مطاعًا مهيبًـا، منيعًـا عزيـزًا فيهـم، وفوق هـذا لإيمانه بأحقيّـة رسـول اللهﷺ ورسـالته المباركة، وأنَّـه لم يـأتِ من السـماء إلّا بالحـقّ والحقّ وحـده وبالهدى.

إذن فقـد كان السـند الواعـي والحقيقي لرسـول اللهﷺ من كبرياء قريش؛ من بطشـها وأذاهـا، حتـى ترك رحيلُه إلى ربِّه في السـنة العـاشرة للبعثة النبويّة أي قبل ثلاث سـنوات مـن الهجـرة رسـولَ اللهﷺ يتحمـل ما تنـوء بحملـه الجبـال! خاصـةً وقد أعقـب رحيلَ عمّـه رحيـلُ شريكـة حياتـه ونصيرتـه أُمّ المؤمنـين خديجة الكـبرىعليها السلام، فـما كادﷺ يخفّ حزنـه على عمّـه رضـوان الله عليه حتـى فجع بموتها فسـمّي عـام الحزن!

وأما أمُّها فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فهي المكيّة، الهاشميّة أباً وأُمًّا، وإن تعوّد بنو هاشم أن يصهروا إلى أُسرٍ غيرهم، وكلُّ أولاد أبي طالب منها، ويبدو أنَّه لم يتزوج غيرها. أسلمت فكانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت فكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة المنورة، وهي بدريّة أيضاً... وكانت محلَّ تقدير واعتزاز ومحبّة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف لا تحظى بهذه المنزلة، وهو القائل عنها: «أُمّي بعد أُمّي التي ولدتني»؟!

مثمّناً رعايتها له، شاكراً معروفها معه طيلة سبعة عشر عاماً، فقد كانت تُفضّله على أولادها الأربعة أيما تفضيل، فتركت في حياته آثاراً طيبة، جعلته يُلبسها قميصه بعد وفاتها، ويضطجع معها في قبرها حتى التفت إليه الصحابة، وقالوا له:

ما أريناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال صلى الله عليه وآله: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها؛ ليُهوّن عليها»!

اختلف في اسمها بين خمسة أسماء، فاختة وهو الأشهر، وهند كما قيل، وحجّة من قال: إنَّ اسمها هند، قول زوجها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم حين هرب إلى نجران، وأسلمت أُمُّ هانئ زوجته، فبلغه إسلامها، فقال (الطويل):

أشاقتك هندٌ أم أتاك سؤالها كذاك النوى أسبابُها وانتقالها

أو: وانفتالها.

أما كنيتها أمّ هانئ؛ وهاني ابنها الأكبر، فتكاد تكون موضع اتفاق بينهم؛ وقد اشتهرت وعرفت بها. ولم ينادِها رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا بها.

أما أخوتها فأكبرهم طالب وبه كنّي أبوه، ولم يرد له ذكر إلّا أنه أخرجه مشركو مكة كرهاً إلى وقعة بدر الكبرى، وفي خبر أنَّه سأل الله تعالى أن يكون مغلوباً لا

غالباً... ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين، لم يعثر عليه لا أسيراً ولا قتيلاً، فلعلّه، وكما في بعض الأخبار، ترك المعركة وعاد إلى مكة مع من عاد، وبقي فيها قليلاً، وتوفي إما في مكة، أو في طريقه إلى الشام أواليمن أو غرق في البحر، ولم يعقّب فانقطع نسله.

عقيل، وكنيته أبو يزيد، أعلم قريش بالأنساب وبأيام العرب، أُخرج كرهاً من قبل مشركي مكة إلى بدر الكبرى، وأُخذ أسيراً وأُطلق بعد أن دفع العباس فديته، وأسلم. وقيل: إنه أسلم قبل صلح الحديبية، توفي سنة ستين هجرية.

جعفر، وكنيته أبو عبدالله، ذو الهجرتين، وذو الجناحين، وهو المعروف بأنه الطيار ذو الجناحين، يطير بهما في الجنة حيث يشاء؛ وذلك بعد استشهاده في مؤتة سنة ٨ هجرية.

والإمام عليٌّ عليه السلام، ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وربيبه وأخوه، وأول من آمن به، ووصيّه، وصهره، زوج ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبو الحسنين عليهما السلام، وحظي بأنَّه الإيمان كلّه، مقابل الشرك كلّه، وهو واحد من خمسة أهل الكساء عليهم السلام؛ نزلت فيهم آياتا التطهير والمباهلة، وآية المودّة... ولرسول الله صلى الله عليه وآله فيه أقوال؛ منها: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدي»... «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...»! وأول أئمة المسلمين من أهل البيت عليهم السلام، ورابع الخلفاء بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربِّه... قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أعلنها صريحةً مدويّةً: «فزتُ وربِّ الكعبة»، حين استشهد في محرابه بالكوفة سنة أربعين هجرية ... فولد عليه السلام في محراب واستشهد في محراب، فكانت حياته بين محرابين إيماناً واعياً، وجهاداً متواصلاً، وعلماً نافعاً، وإماماً للمتقين وسيداً للعارفين...!

ومما لا شك فيه أنَّ الأخيرين؛ أي كلاً من الإمام عليٍّ عليه السلام وجعفر رضوان الله عليه يُعدّان من أبرز أسرة أبي طالب بن عبد المطلب.

ويُقال: إنَّ لها أخاً اسمه طليق، وطليق هذا مختلف في نسبته لأبي طالب، قيل: أمّه أمة لبني مخزوم غشيها أبوطالب فحملته، فادعاه، وادعاه أيضاً رجل آخر من حضرموت، وأرادوا بيعه من الحضرمي، وقيل: أمّه علة وهي أمّ الحويرث بن أبي ذباب بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة. درج ومات صغيرًا، وليس له عقب.

أما شقيقاتها:

فلأمِّ هانئ شقيقتان: جُمانة، وأسماء. وفي قول: أعقب أبو طالب إضافةً إلى أمِّ هاني (هند أو فاختة) جُمانةَ وأمَّ طالب (رَيطة).

ولربما كانت ـ والكلام للشيخ الكرباسي ـ ولادة فاطمة بنت أسد لبناتها على شاكلة أبنائها، كلّ عشر سنوات، وذلك بولادة كلّ منهن بعد كلّ واحد منهم بخمس سنوات، فتكون ولادة أُمّ هانئ عام ٤٨ قبل الهجرة، وجُمانة عام ٣٨ قبل الهجرة، وريطة عام ٢٨ قبل الهجرة، وأسماء إن ثبت أنها ابنته عام ١٨ قبل الهجرة.

وفي طبقات ابن سعد: وذكر أنه كان لأبي طالب من البنات أمّ هانئ وجمانة وريطة، ولعلّ ريطة هي أمُّ طالب كما سمّاها محمد بن عمر في كتاب طعم النبيِّ صلى الله عليه وآله، أنه أطعم أمَّ طالب بنت أبي طالب في خيبر أربعين وسقًا. وأمُّ ولد أبي طالب كلّهم الرجال والنساء فاطمة بنت أسد. ما خلا طريق بن أبي طالب.

جُمانة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية بلا خلاف بينهم، وأمُّها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ولدتها في مكة سنة ٣٨ قبل الهجرة النبوية المباركة؛ وهي الابنة الثانية لأبي طالب بعد أمّ هانئ، تزوجها ابن عمّها أبوسفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان أخاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً وكان له تربا... فأنجبت له

جعفر بن أبي سفيان، وعبد الله بن أبي سفيان، وعاتكة. وفي قول: إنَّ والدة عبد الله بن أبي سفيان هي فغمة بنت همّام بن الأفقم.

أسلمت جُمانة وهاجرت، وأطعمها رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر ثلاثين وسقًا. وقد ذكرها ابن إسحاق فيمن قسم له النبيّ صلى الله عليه وآله من خيبر ثلاثين وسقاً.

قال ابن عبد البرّ: ذكر ابن إسحاق أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله أعطاها من خيبر ثلاثين وسقًا، ولم يكن ليعطيها إلّا وهي مسلمة. فيما زوجها لم يُسلم، وظلَّ مدافعاً عن عبادة الأصنام، حتى مكث عشرين سنة مناوئًا لرسول الله صلى الله عليه وآله محارباً له؛ لم يتخلّف عن أي وقعة لقتال المسلمين حتى فتح مكة أو قبيلها، فأسلم واعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فحسن إسلامه وثبت في حنين، وتوفي في المدينة سنة ٢٦ هجرية.

وفاتها: عدد ممن ترجم لحياتها لم يذكر وفاتها، فيما آخرون ذكروا، ولكنهم اختلفوا في وقتها، فإما في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله وهذا يتعارض مع ما إذا صحّ من أنَّ بعض التابعين: كعطاء، ومجاهد، وابن كثير، وغيرهم يخرجون إلى التنعيم، على مشارف مكة المكرمة من خيمتها للاعتمار، وهو ما أخرجه الفاكهي في كتاب مكة من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، قال: أدركت عطاءً ومجاهداً وابن كثير وأناساً؛ إذا كان ليلة سبع وعشرين من رمضان، خرجوا في التنعيم واعتمروا من خيمة جمانة وهي بنت أبي طالب.

خاصةً إذا عرفنا أنَّ عطاءً ولد سنة سبع وعشرين، وقد سُئِل عن موعد مولده قال: لعامين خَلَوا من خلافة عثمان، وتوفي سنة أربع عشرة ومائة و قيل: مات سنة خمس عشرة ومائة. وأنَّ مجاهداً ولد سنة إحدى وعشرين وتوفي سنة ١٠٤ هجرية، وأما ابن كثير، فقد ولد سنة ٤٥ هجرية وتوفي سنة ١٢٠ هجرية. فمعناه أنَّها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تتوفَّ في حياته صلى الله عليه وآله. وإما أنَّها تُوفيت بعد عام ٤٠ أو ٦٠ هجرية.

وسيأتينا آخر المقالة عما قيل من دورٍ لها في واقعة الطف؛ كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.

فإن صحَّ فوفاتها بعد ٦١ هجرية.[١]

زواج أُمِّ هانئ :

كادت أن تكون زوجةً لرسول اللهﷺ عبر فرصتين أو ثلاث فرص، فتكون أُمًّا للمؤمنين، وذلك حين خطبهاﷺ مرّتين وفي الثالثة عرضت نفسها عليهﷺ لولا آية الهجرة ،كما ذكرت بعض مصادر التاريخ.

الأولى: خطبها قبل البعثة النبوية المباركة من عمِّه أبي طالب، فاعتذر كما في كتاب المحبر؛ وتحت عنوان: «وممن لم يتزوجها أمّ هانئ، وهي هند بنت أبي طالب»، وكانﷺ خطبها في الجاهلية إلى أبي طالب، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن [عمرو بن] عائذ بن عمران بن مخزوم. فزوج هبيرة. فقال لهﷺ: «يا عم! أزوجتَ هبيرةَ وتركتَني؟» فقال: «يا ابن أخي! إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم.[٢]

وكما عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: خطب النبيُّﷺ إلى أبي طالب ابنته أُمَّ هانئ في الجاهلية، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. فتزوّجها هبيرة.

---

١. انظر في هذا كله: السيرة النبوية، لابن هشام١: ١١٠،٢: ٢٧١ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة؛ الاستيعاب في معرفة الصحابة: أُمُّ هانئ، جمانة ؛ الطبقات، لابن سعد١: ١٢١،١٢٢،٤ : ٤٩ـ ٥١، ٨: ٤٨، ٨ : ١٥١ ؛ أسد الغابة، ابن الأثير٥ : ٦٢٤، ٣: ٤٢٣ـ٤٢٤،٢: ٢٨٧ ؛ أنساب الأشراف، للبلاذري٢: ٢٣، ٤٢، ٤٣، ٦٩،٧١،٧٧ ؛ وانظر في العدد الخاص بالإمام عليٍّعليه السلام العدد ١٤ ؛ والعدد١٨ : ١٢٢أبو طالب مأوى الرسول والرسالة ؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين٤ : ٢١٩؛ معجم أنصار الحسينعليه السلام، (النساء) محمدصادق الكرباسي ؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي : ١١٨ فاطمة بنت أسد ؛ جمهرة النسب، لابن الكلبي ١: ١٢٨؛ والمعارف، لابن قتيبة :١٢٠، ١٥٦، ٢٠٧ـ٢٠٨ ؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد١: ١٥؛ بحارالأنوار ١٩: ٥٩ ؛ وانظر في إسلام زوج جُمانة: المغازي للواقدي ٢ : ٨٠٧ـ٨٠٩ وفيه كلام طويل.

٢. كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي، المتوفى٢٤٥ هجرية:٩٧ـ٩٨. بلا سند .

فقال النبيُّ ﷺ: يا عم زوّجتَ هبيرةَ وتركتني؟ فقال: يا ابن أخي، إنّا قد صاهرنا إليهم، والكريم يُكافئ الكريم![1]

وهكذا ذكره الحافظ في الإصابة ٨ : ٣١٧ بالسند نفسه. وغيرها من المصادر.

وقد ناقش بعضهم في السند المذكور، فعدَّه سنداً تالفاً؛ (هشام متروك، وأبوه متهم بالكذب وخاصة فيما يرويه عن أبي صالح، وأبو صالح لم يرَ ابن عباس...).[2]

ولم أعثر على هذا الخبر فيما تيسّر لي من مصادر شيعيّة.

إذن تمَّ زواجها من هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .. ولم تتزوج غيره حتى توفيت.

الثانية: وحتى لما خطبها رسول الله ﷺ مرّةً ثانية بعد أن انفصلت عن زوجها بسبب كفره وإسلامها، ولكن هذه الخطبة انتهت كما هو معنى كلامها؛ باعتذارها بوجود أولادها، وقد لا تستطيع التوفيق بين حقّهم وحقِّ الزوج، وعذره ﷺ إياها.

فعن كتاب المحبر: فولدت لهبيرة هانئاً ويوسف وجعدة. ثم أسلمت، ففرق الإسلام بينهما. فلما جاء الإسلام، خطبها النبيُّ ﷺ إلى نفسها، فقالت: إن كنتُ لأحبّك في الجاهلية، فكيف في الإسلام! ولكني امرأة مصبية، وأكره أن يؤذوك! فقال ﷺ: «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»!

وكذا قال ابن سعد: ثُمَّ أَسْلَمَتْ، فَفَرَّقَ الإِسْلامُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هُبَيْرَةَ، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى نَفْسِهَا. فَقَالَتْ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأُحِبُّكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ فِي الإِسْلامِ؟ وَلَكِنِّي امرأة مُصبية (أي: ذات صبية) وَأَكْرَهُ أَنْ يُؤْذُوكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْمَطَايَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ. أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»!

---

١. طبقات ابن سعد ٨ : ١٢٠ .

٢. انظر: لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني ٦ : ١٩٦ رقم ٧٠٠ .

وفي رواية أخرى، أنها قالت: يا رسول الله ﷺ، لأنت أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وحقُّ الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلتُ على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي، وإن أقبلتُ على ولدي أن أضيع حقَّ الزوج! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده». قيل: إنَّ أمَّ هانئ لما بانت عن هبيرة بإسلامها، خطبها رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة مصبية. فسكت عنها.[1]

وفي الكافي: عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام، قال: خطب النبيُّ ﷺ أمَّ هاني بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني مصابة في حجري أيتام، ولا يصلح لك إلّا امرأة فارغة! فقال رسول الله ﷺ: «ما ركب الإبل مثل نساء قريش؛ أحناه على ولد، ولا أرعى على زوج في ذات يديه»!

أقول: كلمتها (في حجري أيتام) ولا يوصف الطفل بأنه يتيم إلّا لأنه فقد أباه قبل البلوغ، فيما الذي فرّق بينها وبين هبيرة هو إسلامها لا وفاة زوجها هبيرة الذي مات في نجران بعد أن فرَّ.[2]

ومدحُ نساء قريش، الوارد في هذه الأخبار، تكرر أيضاً في عدّة روايات أُخر عن رسول الله ﷺ بعيداً عن أُمّ هانئ، منها: عدة من أصحابنا، عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم نساء قريش، ألطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن، المجون لزوجها الحصان لغيره، قلنا: وما المجون؟ قال: التي لا تمنع».

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن

---

١. كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي: ٩٨؛ الطبقات ٨: ١٢٠؛ سير أعلام النبلاء: الصحابة: أُمّ هانئ.

٢. الفروع من الكافي، للكليني ٥: ٣٢٦ـ٣٢٧ باب: فضل نساء قريش رقم ٣.

الرحال نساء قريش؛ أحناه على ولد وخيرهن لزوج»!

الحانية أي المشفقة على زوجها وأولادها، قال الجزري: الحانية التي تقيم على ولدها لا تتزوج شفقةً وعطفاً ومنه الحديث في نساء قريش: أحناه على ولد وأرعاه على زوج! و(أحناه) في النهاية: الحانية التي تقيم على ولدها، ولا تتزوج شفقةً وعطفاً، ومنه الحديث في نساء القريش: «أحناه على ولد وأرعاه على زوج». إنما وحد الضمير في أمثاله ذهاباً إلى المعنى تقديره: أحنى من وجد أو خلق أو من هناك. وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام.

المجون: الصلب الغليظ، ومن لا يبالي قولاً وفعلاً.[1]

وفي الثالثة: عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله في وقت لم يجز له نكاحها؛ لعدم كونها من المهاجرات، كما في الآية: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ الَّلاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾.[2]

فأحلّ الله له صلى الله عليه وآله بنات عمّه وعمّاته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهنّ دون من لم يهاجر منهنّ معه.

ففي خبر: ... فلما أدرك بنوها، عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله فقال: «أما الآن فلا؛ لأنَّ الله أنزل عليه: ﴿... **اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾ ولم تكن من المهاجرات».[3]

أولادها:

اختلف في عدد من ولدتهم أمُّ هانئ بنت أبي طالب بين ثلاثة وأربعة بنين: هانئ

---

١. بحار الأنوار، للمجلسي ٤٣: ١٧، ح١٥، باب: ٢؛ الفروع من الكافي، للكليني ٥ هامش ٣٢٦ رقم٢، باب فضل نساء قريش، وهامش الصفحة.

٢. سورة الأحزاب: ٥٠.

٣. الطبقات لابن سعد ٨: ١٥١ـ١٥٣، وغيره.

وبـه كانـت تُكنى، وعمـراً وجعدة ويوسـف. ولـدت أربعـة بنين: جعـدة وعمـرًا وهانئًا ويوسـف، فيما يقـول صاحب المحـبر: فولدت لهبـيرة هانئاً ويوسـف وجعـدة. وفي قول: أربعـة بنين أحدهـم جعدة.

فيـما ذكـر كلٌّ مـن ابـن منـده وأبي نعيـم: جعـدة بـن هبيرة بـن أبي وهـب ابن بنـت أُمِّ هانـئ. وهـذا القـول يردّه ابـن الأثير قائـلاً: أما قـول ابن منـده، وأبي نعيـم: إنَّ جعدة هو ابـن بنـت أمّ هانـئ، هـذا وهـم منهما، وليـس بابن ابنتهـا، إنما هو ابنهـا لا غير، عـلى أنَّ أبا نعيـم يتبـع ابن منـده كثـيرًا في أوهامـه، والله أعلم.

أقـول: ولأنَّ جعـدة كان أبـرز أولادها، نقـف عنده قليلاً، فهو ابن هبـيرة بن أبي وهب بـن عمرو بـن عائذ بن عمران بـن مخزوم القـرشي المخزومي. وهو القائـل من الطويل:

أبي مـن بنـي مخـزوم إن كنت سـائلاً ... و مـن هاشـمٍ أُمّـي لخـير قبيـل

فمن ذا الذي يَبأى (يبهى) عليَّ بخاله ... كخـالي عـليٍّ ذي النـدى وعقيـل؟!

يبأى : يفخر.

صحبته لرسول الله ﷺ

اختلـف في صحبتـه بـين قائلٍ بهـا، وبين قائـلٍ بالرؤية، وثالـث قال بأنه مـن التابعين، وهـذه بعـض أقوالهـم: ذكره الشـيخ في رجاله في أصحاب الرسـول ﷺ، فقـال: جعدة بن هبـيرة المخزومـي. يُقال: إنـه ولد على عهـد النبيِّ ﷺ، وليسـت له صحبة، نـزل الكوفة.

في الإصابـة: ولـد عـلى عهـد النبـيّ ﷺ، لـه رؤيـة بلا نـزاع، فـإنَّ أباه قتـل كافـراً بعد الفتـح. وقـال ابـن منـده مختلـف في صحبته، وقـال البخـاري: له صحبـة. وفي قـول آخر ذكـره البخـاري وأبـو حاتـم وابن حبـان في التابعـين. وقال ابن حبـان: لا أعلـم لصحبته شـيئاً صحيحـاً اعتمـد عليه. وقـال البغوي: ولـد على عهد النبيِّ ﷺ وليسـت لـه صحبة. وفي تهذيـب التهذيـب: جعـدة بـن هبـيرة لـه صحبـة، و ذكـره البغـوي في الصحابة لكن

قال: يقال إنه ولد على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وليست له صحبة، وعن أبي داود لم يسمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً.

وأما ابن أبي الحديد فيقول عنه:.. وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح مع أُمّه أمّ هانئ بنت أبي طالب، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى إلى نجران.

وقال الحاكم في تاريخه يقال: إنَّ له رؤية. فيما قال الآجري: قلت لأبي داود: وجعدة بن هبيرة له رؤية؟ قال: لم يسمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً - قلت - أما كونه له رؤية فحقٌّ؛ لأنه ولد في عهد النبيِّ صلى الله عليه وآله، وهو ابن بنت عمّه، وخصوصية أمّ هانئ بالنبيّ صلى الله عليه وآله شهيرة. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة... وذكره العسكري فيمن روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله مرسلاً ولم يلقه.

أما عن منزلته :

عند الإمام عليٍّ عليه السلام وأنَّه من أصحابه، فهو أمر معروف لم يُختلف عليه، فقد روى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «كان مع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة نفر، وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية، وعدَّ من الخمسة جعدة بن هبيرة المخزومي. قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك، فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك»!

والخمسة هم كما في رواية عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:«.. فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هشام بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، ومحمد بن أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين عليه السلام ابن أبي

العـاص بـن الربيعة».

وقـال الشـيخ الطـوسي في رجالـه:.. في أصحاب عـليٍّ عليه السلام جعدة بن هبـيرة المخزومي ابـن أخـت أمير المؤمنـين عليه السلام، أمّـه أمُّ هانئ بنـت أبي طالب.

وإضافـةً إلى كونـه كان فقيهـاً، كان شريفـاً، كان شـجاعاً، كان شـاعراً، نـزل عـليٌّ عليه السلام بالكوفـة عـلى جعـدة، وأنـه ولّاه خراسـان. ففي أسـد الغابة، قال هشـام الكلبـي: جعدة بـن هبـيرة ولي خراسـان لعـليٍّ، أمـا ابـن أبي الحديـد فيقـول عنـه: وأمـا جعدة بـن هبيرة، فهـو ابـن أخـت أمـير المؤمنـين عليه السلام، أمّـه أمُّ هانـئ بنـت أبي طالـب بـن عبـد المطلـب بن هاشـم، وأبـوه هبيرة بـن أبي وهب... وكان جعدة فارسـاً شـجاعاً، فقيهاً، وولى خراسـان لأمير المؤمنـين عليه السلام... نـصّ عـلى عدالته ووثاقته حينـما أمره الإمام عليه السلام بالصـلاة فجر اليوم الـذي ضربـه ابـن ملجم، بعـد أن قالـت لـه أمّ كلثوم: مـر جعدة فليصـل بالنـاس، قال: نعـم مـروا جعدة فليصـل بالنـاس، وأنَّه صـلّى الغـداة بالناس بعدمـا أُصيـب الإمام عليه السلام.

يقـول الشـيخ المامقـاني عنـه: «... ومن لاحظ شـدّته في حـرب صفّين مـع خاله عليه السلام، ومقاماتـه مـع معاويـة بعد عـام الجماعـة، يعـرف قـوّة إيمانه، ونصرتـه لأهـل البيت عليهم السلام، فـلا أقـل من حسـنه، بـل يمكن إثبـات وثاقتـه وعدالته مـن توليته أمـير المؤمنـين عليه السلام إيّاه خراسـان قبل حـرب صفّين، و شـدّة حبّه عليه السلام له؛ لعـدم تعقّل توليته عليه السلام غـير العدل الثقة الأمـين عـلى رقاب النـاس وأموالهـم، وأعراضهم وأحكامهـم، وقد حظى عنـده عليه السلام بعد صفّـين لمّـا رأى مـن بسـالته وثباتـه، وشـدّة شـكيمته... إلى أن يقـول: حصيلـة البحث لم أجـد مغمـزاً في المترجـم، ومواقفه المشرفة تحـت راية خالـه العظيم صلوات الله و سـلامه عليـه، وأقواله المخرسـة لأعدائـه، وتفانيه في الـولاء لإمام زمانه، و حـبّ أمير المؤمنين عليه السلام لـه، وتقديـم أمير المؤمنـين عليه السلام عنـد ما ضربـه الملعـون ابن ملجم لإكـمال الصلاة، و شـدّة اهتمامـه عليه السلام بـه... كلّ ذلـك يجعلـه فـوق مرتبـة الوثاقـة، فالحكـم بوثاقتـه وجلالتـه هـو المتعين».

معجم رجال الحديث: جعدة بن هبيرة المخزومي، يقال: إنه ولد في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، وليست له صحبة، نزل الكوفة، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رجال الشيخ؛ وذكره في أصحاب علي عليه السلام قائلاً: ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام، أمّه أمّ هاني بنت أبي طالب عليه السلام. وروى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسند قوي، عن عبد الله بن سنان، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر... وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك».

ودارت مناظرة في وقعة صفين بين الاثنين، عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة، لا تخلو من الصراحة والمفاخرة، وفيها من الحقّ والباطل شيء نافع نوجزها، وقد ابتدأها نصر بن مزاحم يصف جعدة قائلاً: وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ الناس إلى عليٍّ عليه السلام. ثمَّ يقول: فغدا عليه عتبة فنادى: أيا جعدة، أيا جعدة! فاستأذن عليًّا عليه السلام في الخروج إليه، فإذن له، واجتمع الناس لكلامهما. فقال عتبة: يا جعدة، إنه والله ما أخرجك علينا إلّا حبُّ خالك... وإنا والله ما نزعم أنَّ معاوية أحقّ بالخلافة من عليٍّ لولا أمره في عثمان. ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق، إلّا وهو أجد من معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جد عليّ في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: أما حبّي لخالي، فوالله أن لو كان لك خال مثله لنسيتَ أباك، وأما فضل عليٍّ عليه السلام على معاوية، فهذا ما لا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل. وأما قولك إنه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجد

من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جد عليّ، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعليّ يقينه، وقصر بمعاوية شكّه، وقصد أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل. وأما قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعليّ عليه السلام، فوالله ما نسأله إن سكت، ولا نرد عليه إن قال. وأما قتل العرب فإنّ الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحقّ فإلى الله.

فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه وأعرض عنه وانصرفا جميعاً مغضبين... وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القوم جميعاً، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة، فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له: فضحك جعدة، وهزمتك (ويهزمك) لا تغسل رأسك منها أبداً. قال عتبة: لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً، ولقد أعذرت، وما كان على أصحابي من عتب ولكن الله أبى أن يديلنا منهم فما أصنع! فحظي بها جعدة عند عليٍّ عليه السلام.

فقال النجاشي: فيما كان من شتم عتبة لجعدة شعراً (ثلاثة عشر بيتاً)، منها:

إنَّ شتمَ الكريم يا عتبَ خطبٌ ... فاعلمنه من الخطوب عظيمُ

أمُّه أمُّ هانئ وأبوه ... من معد ومن لؤي صميم ...

وقال الشنيُّ في ذلك لعتبة في (اثني عشر بيتاً) كان منها:

ما زلتَ تنظر في عِطفيك أُبَّهةً ... لا يرفعُ الطرفَ منك التّيهُ والصّلفُ...

حتى لقيتَ ابن مخزوم وأيّ فتًى ... أحيا مآثرَ آباءٍ له سلفوا.[1]

---

١. أُسد الغابة، لابن الأثير؛ الإصابة في تمييز الصحابة؛ الطبقات لابن سعد؛ كتاب المحبر، للبغدادي (ت٢٤٥هـ): ٩٧ـ٩٨؛ الاستيعاب، لابن عبد البر ١: ٢٤١ رقم ٢٢٤: جعدة؛ شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١٠: ٧٧ـ٧٨؛ أعيان الشيعة، محسن الأمين ٤: ٧٨؛ الاختصاص، للشيخ المفيد: ٧٠ وهامشها؛ رواه الكشي في رجاله: ٤٢؛ خاتمة مستدرك الوسائل؛ للشيخ النوري ٧: ٢١٥ رقم ٣٩٠؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٤٢: ٢٢٦؛ ٣٨؛ تنقيح المقال، للمامقاني ١٤: ٣٤٥ـ٣٥١؛ معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ٤: ٣٦٤-٣٦٥ رقم ٢١٠٥ جعدة بن هبيرة؛ وقعة صفين، لابن مزاحم: ٤٦٣ـ٤٦٦.

الإسراء:

قدّمتُ ذكر الإسراء المبارك على ذكر إسلامها؛ لأنَّه يمكن أن يكون خير دليل على سابقيتها لاعتناق الإسلام، وأنَّه وقع في مكة قبل الهجرة النبويّة إلى يثرب؛ المدينة المنوّرة بنور رسول الله صلى الله عليه وآله حين حلَّ بها!

وقد ذكرت جميع المصادر هذه الحادثة، وأغلبها ذهب إلى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرى اللهُ عزَّ وجلَّ به من بيت أُمِّ هانئ، فإن صحَّ هذا، فقد دلّ على سموِّ هذه المرأة الصالحة ومنزلتها الكبيرة في السماء وفي عين النبيِّ صلى الله عليه وآله وبين الناس، ولا غرابة أن تُكرمها السماء بأن تكون انطلاقة هذه المعجزة الخالدة من بيتها؛ بل كما كانت دارها منطلقاً لرحلته كانت مستقراً لعودته صلى الله عليه وآله حتى تكون أول من يسمع حديث الإسراء والمعراج من الفمِّ الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله ولتُسجل لها منقبة تكشف عن عظيم ثقته صلى الله عليه وآله بها، وجلالة مكانتها عنده، وتضاف إلى ما تحمله من مناقب جليلة وذات طيبة ونسب رفيع وأسرة زكية، فهي ابنة سيد البطحاء وابنة عمِّ سيد البشر وأخت سيد الأوصياء..!

فآية الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾.[1] آية مكيّة في سورة مكيّة، تُخبرنا بأعظم حدث حيث كمال قدرته عزَّ وجلَّ وجلالة حكمته، تجلّتا في انبثاق إسراء أعزّ خلقه وأفضلهم: ﴿**مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا**﴾ مقدمةً لعروجه صلى الله عليه وآله إلى ما فوق السموات كما في سورة النجم، فكانت له صلى الله عليه وآله منقبةً عظيمةً ومعجزةً مباركةً خالدةً.

وأهمّ شيء علينا الانتباه إليه، ونحن نقرأها بتدبّر أن الله عزَّ وجلَّ حصر ذلك الإسراء بإرادته ونسبه إلى قدرته، وهو دليل على أنّ هذه الحركة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله بين المسجدين ولخارقيتها المذهلة للمسافة وللوقت، لا تتمُّ ولا يكتمل إنجازها بدءًا

١. سورة الإسراء: ١.

واستمراراً وانتهاءً إلّا بقوّته وقدرته وحكمته سبحانه وتعالى، وليس لبشرٍ مهما أُوتي من علمٍ وقدرةٍ أن يقوم بها، فهي أكبر من قدرات البشر، بل وعصية على التفكير والتخطيط لها، وبعيدة كلّ البعد حتى عن مجرّد تصورها، ثمّ اكتملت بالمعراج إلى حيث السموات العلى؛ ليُشكّلا معاً معجزةً اختصت السماءُ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلته يتفرّد بها دون غيره من أنبياء ومن رسل على عظم قدرهم وجلالتهم وقربهم من الله تعالى، وما أحسن ما قاله ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه، عن عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري،... وأمّ هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلّ يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسري به، وكان في مسراه صلى الله عليه وآله وما ذكر منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه. فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق. وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين. فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد. حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

وما أجلَّ ما ذكره القشيري:.. ويقال أخبر عن موسى عليه السلام، حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة، فقال: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا**﴾،[1] وأخبر عن نبينا صلى الله عليه وآله بأنه ﴿**أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾، وليس مَنْ جاءَ بنفْسِه كمنْ أَسْرَى به ربُّه، فهذا مُتَحَمِّلٌ وهذا محمول، هذا بنعت الفَرْقِ وهذا بوصف الجمع، هذا مُرِيدٌ وهذا مُرَادٌ!.. ثم أراه من آياته تلك الليلة ما عَرَفَ به صلوات الله عليه أنه ليس أحدٌ من الخلائق مثْلَه في نبوّته ورسالته وعلوِّ حالته وجلال رتبته.[2]

هذا وإن وصِفَ كلٌّ من الإسراء والمعراج بالمعجزة؛ لكنهما ضمّا معاجز أُخر ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ**﴾، من عجائب صنعنا وحقائق قدرتنا في السموات والأرض وما بينهما،

---

١. سورة الأعراف: ١٤٣.

٢. السيرة النبوية، لابن هشام: الإسراء؛ تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت ٤٦٥ هـ).

وجـاءﷺ منهما بما رآه من مشـاهد الآخـرة، وبأحكام عباديّة وعقائديّـة ومواعظ ومفاهيم وآدابـاً ... ولعـلَّ بذلك تحققت حكمـة الإسراء!

وبعيـداً عـن الأخبـار والأقـوال المختلفة في مـكان انطـلاق الإسراء من مكـة المكرمة، فـإنَّ ظاهـر الآية المباركة بـل صريحها: ﴿**سُـبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ ٱلأَقْصَـا**﴾، واضـح في تحديـد انطـلاق الإسراء من المسـجد الحرام، وجعلـت غايته المسـجد الأقـصى؛ ليبدأﷺ مـن هناك معراجـهﷺ إلى ذلك العـالم الغيبي حيث السـموات العـلى، وحيث سـدرة المنتهى.

وقـد راحـت هـذه المـرأة الصالحـة، تُحدّثنـا عـن انطلاقة هـذه المعجـزة من بيتهـا وهو قـول أكثـر المفسريـن «أنـه أُسري بـه مـن بيـت أمّ هانـىء»، وروي عنهـا وعن غيرهـا أنَّ الحـرم كلَّـه مسـجد... وأنَّ النبـيَّﷺ كان في منزلهـا ليلـة أسري بـه.

الطـبرسي: وقـال أكثـر لمفسريـن أسري برسـول اللهﷺ مـن دار أمِّ هانـىء أخت علي بـن أبي طالـب، وزوجهـا هبيرة بـن أبي وهـب المخزومـي، وكانﷺ نائـماً تلـك الليلة في بيتهـا، وأنَّ المـراد بالمسـجد الحـرام هنا مكـة، ومكـة والحرام كلّها مسـجد.

في كتـاب «السـيرة النبوية»، لابن هشـام في حديثه عن الإسراء والمعـراج أنَّ النبيَّﷺ، قـد أسرى الملائكـة بـه مـن بيـت «أمّ هانـئ» وجاء عن محمـد بن إسـحاق أنه مـا بلغه عن «أمّ هانـئ» أنهـا كانـت تقـول: مـا أسرى برسـول الله إلّا وهـو في بيتـي، نـام عنـدي تلك الليلـة في بيتـي، فصلّى العشـاء، ثـم نام ونمنا، فلـما كان قبيـل الفجر أهبنا رسـول الله، فلما صـلّى الصبـح وصلينـا معـه، قـال: «يـا أمَّ هانـئ، لقد صليـتُ معكم العشـاء الآخـرة كما رأيـت بهـذا الـوادي، ثم جئـتُ بيت المقـدس، فصليـتُ فيه، ثم قـد صليتُ صـلاة الغداة معكـم الآن كـما ترين».

ولأمّ هانـئ، بعـد أن سـمعت مـن فمـه الطاهـر المبـارك حديـث الإسراء والمعـراج، وكانـت بذلـك أول من سـمعته، موقفهـا حين ظلّت مشـدودةً إلى قلقهـا عليهﷺ، وحين

أبـدت تخوفها من تكذيب قومه له بسـبب غرابـة الواقعة، ولم تكتفِ بذلـك، حتى أخذت بردائـهﷺ كـما حدّثت قائلـةً: ثم قام ليخـرج، فأخذتُ بطـرف ردائه، فتكشـف عن بطنه كأنـه قبطيـة مطويـة (ثـوب من ثيـاب أهـل مصر) فقلـت له: يـا نبـيَّ الله، لا تحـدث بهذا النـاس، فيكذبـوك ويؤذوك! قـال: «والله لأحدثنهمـوه». قالت: فقلت لجارية لي حبشـية: ويحـك! اتبعي رسـول اللهﷺ حتى تسـمعي مـا يقول للنـاس، وما يقولون لـه. فلما خرج رسـول اللهﷺ إلى النـاس، أخبرهـم فعجبـوا، وقالـوا: ما آية ذلـك يا محمد؟ فإنا لم نسـمع بمثل هـذا قطّ!

قـال: «آيـة ذلـك أنى مررت بعـير بنى فلان بـوادي كذا وكـذا، فأنفرهم حـسّ الدابة، فنـدَّ لهـم بعـير (شرد ونفر) فدللتهم عليـه، وأنا موجه إلى الشـام. ثم أقبلت حتـى إذا كنت بضجنـان.[1] مـررت بعـير بنى فـلان، فوجـدت القـوم نيامـاً، ولهم إنـاء فيه ماء قـد غطوا عليـه بشـيء، فكشـفتُ غطـاءه وشربتُ مـا فيه، ثـم غطيتُ عليـه كـما كان، وآية ذلـك أنَّ عيرهـم الآن تصـوب مـن البيضـاء، ثنيـة التنعيـم، يقدمهـا جمـل أورق (لونه بين السـواد والغـبرة)، عليه عرارتـان إحداهما سـوداء، والأخـرى برقاء».

قالـت: فابتـدر القـوم الثنيـة، فلم يلقهـم أول مـن الجمل كـما وصف لهم، وسـألوهم عـن الإنـاء فأخبروهـم أنهم وضعـوه مملوءًا مـاءً ثم غطّـوه، وأنهـم هبوا فوجـدوه مغطًى كـما غطّـوه، ولم يجدوا فيـه ماءً. وسـألوا الآخريـن، وهم بمكـة، فقالوا: صـدق والله، لقد أنفرنـا في الـوادي الـذي ذكـر، ونـدَّ لنـا بعير، فسـمعنا صـوت رجـل يدعونا إليـه، حتى أخذناه.

سـيد قطـب: ومما يلاحظ بمناسـبة هـذه الواقعة، وتبـين صدقها للقـوم بالدليل المادي الـذي طلبـوه يومئـذ في قصة العـير وصفتها أنَّ الرسـولﷺ لم يسـمع لتخـوف أمِّ هانىء رضي الله عنهـا مـن تكذيـب القوم له بسـبب غرابـة الواقعة. فـإنَّ ثقة الرسـولﷺ بالحقّ

١. انظر كتاب معالم مكة التاريخية والأثرية ١ : ١٥٩ ، ضجنان .

الـذي جـاء بـه، والحقّ الـذي وقع لـه، جعلته يصـارح القـوم بـما رأى كائناً مـا كان رأيهم فيـه. وقـد ارتد بعضهـم فعـلاً، واتخذها بعضهم مادة للسـخرية والتشـكيك.

ولكـن هـذا كلـه لم يكن ليقعد الرسـول صلى الله عليه وآله عـن الجهر بالحـقّ الذي آمن بـه.. وفي هذا مثـل لأصحاب الدعـوة أن يجهروا بالحقّ لا يخشـون وقعه في نفوس النـاس، ولا يتملقون بـه القـوم، ولا يتحسسـون مواضـع الـرضى والاستحسـان، إذا تعارضت مـع كلمة الحقّ تقـال كذلـك يلاحـظ أنَّ الرسـول صلى الله عليه وآله لم يتخذ مـن الواقعة معجـزة لتصديق رسـالته، مع إلحـاح القـوم في طلـب الخـوارق، وقـد قامـت البينـة عندهـم عـلى صـدق الإسراء عـلى الأقـل، ذلـك أنَّ هـذه الدعـوة لا تعتمـد عـلى الخـوارق، إنـما تعتمـد عـلى طبيعـة الدعوة ومنهاجهـا المسـتمد مـن الفطـرة القويمة، المتفقة مـع المـدارك بعد تصحيحهـا وتقويمها. فلـم يكـن جهـر الرسـول صلى الله عليه وآله بالواقعة ناشـئاً عن اعتـماده عليهـا في شيء من رسـالته، إنما كان جهـراً بالحقيقة المسـتيقنة لـه لمجرد أنهـا حقيقة.[1]

دار أُمّ هانئ:

كتـب لهـا أن تكـون أول امـرأة تسـمع حديـث الإسراء والمعـراج لرسـول الله صلى الله عليه وآله ولبيتهـا أن يكـون موضعـاً طيباً لانطلاقـة الرحلة المعجـزة ذهابـاً واسـتقبالاً، انطلق منها رسـول الله صلى الله عليه وآله في إسرائـه ونـزل فيهـا مـن معراجـه، وصـلّى وأكل فيهـا في فتـح مكة، كما عليـه أكثـر الأخبـار والأقـوال، وظلّـت ذكراها تتجـدد كلّ عـام مقترنةً بذكـرى الإسراء والمعـراج حتـى يومنـا هذا وسـتبقى، حـين حظيت بهـذا الـشرف، شرف إسرائـه صلى الله عليه وآله من بيتهـا وفـرج له سـقفه، ليتـمَّ معراجه نحـو السـماء...، وتاريخيًّا كانـت هذه الـدار مباركة، فهـي موضـع أول بئـر حفـرت بمكـة، حفرهـا جدُّهـا الرابـع قصـي، ومـا أن زاد محمد المهـدي العبـاسي سـنة ١٦٤ هجرية زيادتـه العظيمة في المسـجد الحرام، حتـى دخلت هذه

١. مجمع البيان، للطبرسي؛ السيرة النبوية٢: ٢٦٨ـ٢٧٣؛ في ظلال القرآن، سيدقطب: الآية.

الـدار وبئرهـا فيـه، ومـن هـذا يتضـح أنَّ دارهـا التـي كان النبـيّ صلى الله عليه وآله فيهـا ليلـة أسري به ليسـت بعيـدة عن المسـجد الحرام، بل هـي بجواره ذلـك الوقت فعـلى هذا كانـت دار أمّ هانـئ، بجـوار المسـجد الحـرام في ذلك الوقـت، فيكون محلها اليـوم حصوة بـاب الوداع، فيكـون بـين دار أمّ هانئ و بين الكعبة المشـرفة نحـو أربعين متراً تقريبـاً. والله تعالى أعلم.

فقـد قـال عنهـا الأزرقـي في تاريخه وفي عـدّة مقاطـع متباعدة مـن كتابـه: «وكانت بئر قـصي بـن كلاب الأولى التـي احتفرها في دار أمّ هـاني ابنة أبي طالـب. كان موضعها في دار أمّ هـاني بنـت أبي طالـب بالحـزورة، الحزورة وهي كانت سـوق مكـة، كانت بفنـاء دار أمّ هـاني ابنـة أبي طالـب التـي كانـت عند الحناطـين، فدخلـت في المسـجد الحـرام، كانت في أصـل المنـارة إلى الحثمة.

كان يقـال لهـا العجول (مـن العجلة ضد البـطء) (بئرالعجـول: كانت بـاب رواق أم هانـئ، ثـم دخلت الـدار والبئر في المسـجد في زيـادة المهـدي)، وكانت العـرب إذا قدمت مكـة يردونها، فيسـقون منهـا ويتراجـزون عليها؛ قال قائـل فيها:

أروى مـن العجـول ثمـت انطلـق إنَّ قصيًّـا قـد وفى وقـد صـدق

بالشبع للحي وري المغتبق...

دار أمّ هانـئ بنـت أبي طالـب التـي عنـد الحناطـين عنـد المنـارة، فدخلـت في المسـجد الحـرام حين وسـعه المهـدي في الهدم الآخر سـنة سـبع وسـتين ومائـة... ثم بنـى منحدراً حتـى دخلـت دار امّ هـاني بنت أبي طالب، وكانـت عندها بئر جاهليـة، كان قصي حفرها، فدخلـت تلـك البئر في المسـجد، فحفر المهـدي عوضاً منها البئـر التي على بـاب البقالين، الـذي في حـدّ ركن المسـجد الحرام اليـوم...».[1]

وهـذا مـا ذكره المـؤرخ محمد طاهـر الكردي تحـت عنوان: تحقيـق موضـع دار أُمّ هاني

١. أخبار مكة، للأزرقي ١: ١٢٢ وهامش الصفحة؛ ٢: ٨١، ٢١٥، ٢٣٤، ٢٩٢، ٢٩٤.

بمكـة، يقـول: الـذي دعانـا إلى العنايـة بتحقيـق موضـع دار أمّ هانـئ أخـت عـلي بـن أبي طالـب رضي الله تعـالى عنهـما، هـو اختـلاف العلـماء في أنَّ النبيَّ ﷺ هـل أسري به من المسـجد الحـرام أو مـن بيـت أمّ هانـئ بنـت أبي طالـب رضي الله تعـالى عنها، فقـد جاءت أحاديـث صحيحـة في هـذا وذاك؟ فأردنا أنَّ نتحقـق موقع بيت أمّ هانـئ بمكة وبعده عن المسـجد الحـرام في زمنـه ﷺ الذي مسـاحته هي مسـاحة دائر المطـاف الذي حـول الكعبة المشرفـة. ثـمَّ يقول: فـإنَّ في معرفـة مـكان دارها جملـة فوائد...

ويواصـل كلامـه إلى أن يقـول: وبعـد التأمل فيـما نقلناه هنا مـن الـكلام، ومراجعة ما طالعنـاه مـن الأبحاث العديـدة، عرفنا موضـع دار أمّ هـاني مما يأتي:

١- مـن قـول الإمـام الأزرقـي المتقدم في الجـزء الثاني مـن تاريخه: ١٨٨ حيـث يقول: ولهـم أيضـاً دار أُمّ هانـئ بنـت أبى طالـب التي كانت عنـد الحناطين عند المنـارة، فدخلت في المسـجد الحـرام حـين وسـعه المهـدي في الهـدم الآخـر سـنة سـبع وسـتين ومائـة أو (١٦٤ هجريـة).

٢- ومـن قـول الفاسي المتقـدم في الجزء الأول من كتابه شـفاء الغـرام حيث يقول عن الحـزورة: وكان عندهـا سـوق الحناطين بمكة، وهي في أسـفلها عند منارة المسـجد الحرام التي تـلي أجياد.

٣- ومـن الخريطـة التـي وضعناهـا في بيـان الزيـادات المطبوعـة في كتابنـا «مقـام إبراهيـم عليه السلام» : ٩١ مـن الطبعـة الأولى.

فمـن هـذه الأمـور الثلاثة، ظهـر لنا تماماً مـا لا يقبـل الشـك؛ أنَّ دار أُم هانئ رضي الله تعـالى عنهـا، واقعة بالضبـط عند منارة بـاب الوداع في عصـرنا الحاضر؛ لأنها هـي المنارة المعنيـة في العبـارة المتقدمـة، فمحلهـا في ذلـك الزمـن هـو محلها اليـوم لم يتغـير، والحزورة واقعـة عندهـا، وكذلـك سـوق الحناطين. ومـن نظـر إلى خريطة زيـادات المسـجد الحرام الموجـودة بكتابنـا المذكور «مقـام إبراهيم عليه السلام» والموجـودة أيضاً في هذا التاريـخ، علم يقيناً

أنّ المنـارة المذكـورة تقـع في آخر توسـعة المهـدي، من ركن المسـجد الحرام الجنـوبي المقابل لأجيـاد، فـدار أمّ هـاني كانت عند هـذا الركن، ثم دخلت في توسـعة المهـدي المذكور مائة وأربع وسـتين مـن الهجرة.

وفي محـل المنـارة، أي في موضـع دار أُمّ هانـئ حفـر قصي بـن كلاب البئر التـي يقال لها العجـول... فتكون المسـافة بـين الكعبة شرفها الله تعـالى وبين دار أُمّ هانـئ بنت أبي طالب رضي الله عنها ١٢٠ مـتراً بالضبـط عـلى التحقيـق الـذي عملنـاه، وهـي نفس المسـافة بين الكعبـة وبين الحـزورة، وهي نفس المسـافة أيضاً بينهـا وبين البئر التي كان حفرها قصـي بـن كلاب، ثـمَّ دفنـت ودخلت مـع دار أمّ هاني في توسـعة المهدي.[١]

وقـد حُكي عن حسـين شـافعي، أُسـتاذ التاريخ في جامعـة أُمّ القرى أنَّه قـال: الكلام عـن عمود أمّ هانئ بالمسـجد الحـرام أخذ منحًى غريبـاً وبعيداً من الواقـع، ولا بدَّ من ذكر أصـل هـذا المـكان في كتـب التاريخ المكـي القديـم منها والحديـث والأصل في هـذا الأمر يعـود إلى دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب التي أسـلمت يـوم فتح مكة المكرمة، وروت أحاديث عـدّة عـن النبـيِّ محمـد، وزوجها هـو هبيرة بـن عمـرو المخزومـي، وأخوهـا الخليفة علي بـن أبي طالـب... أمّ هانـئ توفيـت بعد عام ٥٠ للهـجرة، وبقيـت دارهـا إلى عهد الخليفة المهـدي العباسي، حينها رأى توسـعة المسـجد الحرام للمـرة الثانية من الجهة الجنوبية سـنة ١٦٤ للهجـرة، فاضطـر إلى هـدم البئر الموجـودة بقربهـا وإدخالها ضمن توسـعته، وعرف البـاب المجـاور لدارهـا في المسـجد الحـرام ببـاب أمّ هانـئ تخليـداً لذكرهـا... وأنَّ الباب الـذي أطلـق عليه اسـم أمّ هانئ عُرف بمسـميات عدّة عـبر العصور التاريخيـة، منها باب أبي جهـل والملاعبـة، وكذلـك باب الفـرج والشريف، لكن أشـهرها بـاب أمّ هاني.

ذكروا هذا الكلام عنه، ولم يبينوا مصدراً له...

---

١. التاريـخ القويـم لمكـة وبيـت الله الكريم، الكـردي محمـد طاهـر ١ : ٣٥٩ـ٣٦٣ تحقيق موضـع دار أمّ هـاني بمكـة؛ باختصار.

وتحت عنوان: إعادة عمود أمّ هانئ إلى موضعه بالمسجد الحرام الثلاثاء ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٠. فيصل السلمي، مكة المكرمة.

أعادت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي العمود القديم، والذي يطلق عليه البعض (عمود أمّ هانئ) إشارة إلى موضع دار أمّ هانئ بالمسجد الحرام بجوار باب الملك عبد العزيز، حيث أسري بالنبيّ ﷺ منه إلى بيت المقدس، ومن ثمَّ عرج به إلى السماء، وقد رفعت رئاسة شؤون الحرمين العمود التاريخي قبل سنوات ضمن مشروع توسعة المطاف، وحافظت عليه وأعادته إلى موضعه بعد انتهاء أعمال التوسعة.

وأوضح الباحث في التاريخ المكي الدكتور سمير برقة لـ«مكة» أنَّ العمود الذي تمّت إعادة وضعه في توسعة المطاف يمثل رمزية للبقعة والمكان الذي كان فيه دار أمّ هانئ، والذي بدأت منه رحلة الإسراء.

وأمّ هانئ واسمها فاختة بنت أبي طالب وقيل: هند، هي أخت سيدنا عليّ، وبنت عمّ النبيّ ﷺ ويبعد بيتها عن الكعبة ١٢٠ متراً، جهة باب الوداع، كما أفاد بذلك المؤرخ محمد طاهر الكردي المكي في كتابه (التاريخ القويم).

أقول: هذه الدار حظيت بكلّ هذه البركة والخلود، بفضل إسراء النبيّ ﷺ منها، واكتسبت اهتماماً عظيماً من دون الكثير من دور مكة التي اندثرت وضاعت معالمها وإن عظم أصحابها وأهلها، ولتبقى هذه الدار قبلةً للوافدين!

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالى

***